"العمل الإيجابي" في رسائل النور لسعيد النورسي

رؤية دلالية ومعالجة معرفية في البعدين؛ النظري والإجرائي للمصطلح

أ.م.د. عباس أمير*

المحور الأول: مفهوم العمل الإيجابي ومقوّماته:

أولا: العمل الإيجابي– مدخل دلالي وإجراء تنظيري:

جاء في الاستعمال الاجتماعي للجذر اللغوي؛ (عمل)، قولهم؛ «العامِلُ هو الذي يتوَلَّى أُمور الرجل في ماله ومِلْكِه وعمَلِه ومنه قيل للذي يَسْتَخْرج الزكاة عامِل والعَمَل المِهْنة والفِعْل (...) وأَعْمَلَ فلان ذِهْنَه في كذا وكذا إذا دَبَّره بفهمه وأَعْمَل رَأْيَه وآلَتَه ولِسانَه واسْتَعْمَله عَمِل به (...) ورجلٌ عَمُولٌ إذا كان كَسُوباً (...) ورجل عَمُولٌ بمعنى رجل عَمِلٌ أَي مطبوع على العَمَل (...) واسْتَعْمَل فلان اللَّبِنَ إِذا ما بَنى به بِناءً (...) ورَجُلٌ خبيثُ العِمْلة إِذا كان خبيث الكسب (...) وعِمْلةُ الرجل باطِنَته في الشرِّ خاصة (...) العُمالة بالضم رِزْقُ العامِلِ الذي جُعِل له على ما قُلِّد من العَمَل (...) ويقال لا تَتَعَمَّلْ في أَمْر كذا كقولك لا تَتَعَنَّ وقد تَعَمَّلْت لك أَي تَعَنَّيْت من أَجلك (...) واليَعْمَلَة من الإِبل النَّجِيبة المُعْتَمَلة المطبوعة على العَمَل (...) وحَبْلٌ مُسْتَعْمَلٌ قد عُمِل به ومُهِن (...) وعَمِلَ البَرْقُ عَمَلاً فهو عَمِلٌ دامَ (...) والعَوامِل بَقَر الحَرْث والدِّياسة (...) وعامِلُ الرُّمح وعامِلته صَدْرُه دون السِّنان (...) وطريق مُعْمَلٌ أَي لحْبٌ مسلوك»[1].

وجاء في الاستعمال الاجتماعي للجذر اللغوي، قولهم؛ (وجَبَ)، قولهم؛ «وجَبَ الشيءُ يَجِبُ وُجوباً أَي لزِمَ وأَوجَبَهُ هو وأَوجَبَه اللّه واسْتَوْجَبَه أَي اسْتَحَقَّه... وأَوْجَبَ الرجلُ إِذا عَمِلَ عَمَلاً يُوجِبُ له الجَنَّةَ أَو النارَ...وأَصلُ الوُجُوبِ السُّقوطُ والوقُوعُ ووَجَبَ الميتُ إِذا سقَط وماتَ ويقال للقتيل واجِبٌ.. ويقال للبعير إِذا بَرَكَ وَضَرَبَ بنفسه الأَرضَ قد وَجَّبَ تَوْجِيباً ووَجَّبَتِ الإِبل إِذا أَعْيَتْ... ووَجَبَ القلبُ يَجِبُ وَجْباً ووَجِيباً ووُجُوباً ووَجَباناً خَفَق

---

* باحث عراقي _دكتوراه دراسات نصية قرآنية/رئيس قسم علوم القرآن/كلية التربية/جامعة القادسية University of Al-Qadisiyah.

(١) لسان العرب، ابن منظور؛ مادة (عمل).

واضْطَرَبَ، والوَجَبُ الخَطَرُ وهو السَّبقُ الذي يُناضَلُ عليه... وتَواجَبُوا أَي تَراهَنُوا فكأَنَّ بعضَهم أَوْجَبَ على بعض شيئاً... وقد وَجَّبَ نَفْسَه تَوجيباً إِذا عَوَّدَها ذلك...ووَجَّبَ فلانٌ نفسَه وعيالَه وفرَسَه أَي عَوَّدَهم أَكْلَةً واحدة في النهار وأَوْجَبَ هو إِذا كان يأْكل مرةً...والوَجْبُ سِقاءٌ عظيم من جلْد تَيْسٍ وافرٍ وجمعه وِجابٌ... والمُوَجِّبُ من الدَّوابِّ الذي يفْزَعُ من كل شيءٍ...ووَجَبْتُه عن كذا ووَكَبْتُه إِذا رَدَدْتُه عنه حتى طالَ وُجُوبُه ووُكُوبُه عنه»[1] وبمقاربة سيميائية ودلالية لما سبق، ومن أجل مقاربة مفهوم (العمل الإيجابي) لدى سعيد النورسي، نخلص إلى أن صفة الإيجابية في العمل، صفة ملازمة للفعل أصلا، فهي مما يتحقق بها العمل، وهي الفيصل والمعيار الذي به يُحكَم للعمل بالقبول والحقانية، ذلك أن أثر الفعل المنوي مشروط باتصافه بالإيجابية. ومن هنا يتضح أن صلة العمل بصفة الإيجابية صلة وجود بحيث أن العمل يتقوم بصفة (الإيجابية) فهي مرتكز وجود وليست صفة زائدة على الوجود العملي للإنسان. ولكي تتحقق صفة الإيجابية في العمل لا بد من تثبيت إرادته وقصده في ذهن العامل ابتداء، فـ«العمل؛ كل فعل يكون من الحيوان بقصد فهو أخص من الفعل، لأن الفعل قد يُنسب إلى الحيوانات التي يقع منها فعل بغير قصد، وقد يُنسب إلى الجمادات»[2]. وإنها بها يكتسب العمل ضرورته[3]. ومن هنا يبدو أن (الإيجابية) في العمل ذات جنبة أخلاقية وعقائدية تندرج بموجبها صفة الإيجابية ضمن عنوان؛ (الواجب) شرعا، أي الذي يقال في ما من شأنه إذا لم يُفعل يُستحق به اللوم، وهو هنا واجب من جهة العقل ومن جهة الشرع، بمعنى أن حقه أن يوجد[4].

ولكن هل صفة (الإيجابية) في الفعل أمر متعيّن في العمل دونما سعي إلى تعيينه وتحقيقه؟

المتعيّن أخلاقيا وعرفانيا أن العمل «يرجع إلى مجاهدة النفس بإزالة ما لا ينبغي»[5]، وأن هذه المجاهدة مجاهدة جسمية وقلبية وعقلية، فـ«العمل هو حركة الجسم والقلب والفكر، فإن تحرك بما يوافق الشريعة سُمّيَ طاعة، وإن تحرّك بما يخالف الشريعة، سُمّيَ معصية، لذلك

(١) المصدر نفسه، مادة؛ (وجب).

(٢) مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني؛ ص٥٧٨.

(٣) المعجم الفلسفي، الدكتور جميل صليبا؛ ج٢/ص٤٤٢.

(٤) المصدر نفسه؛ ص٨٥٤.

(٥) موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، الدكتور رفيق العجم؛ ص٦٨٠.

أجمعوا على أن الشريعة لإصلاح الظواهر، والطريقة لإصلاح الضمائر، والحقيقة لإصلاح السرائر»[1]. ومن هنا، فإن الوصول بالعمل إلى اكتسابه صفة الإيجابية وتحقيق تلك الصفة في الواقع المعيش أمر يستدعي سبقا ومسابقة لأنه مدعاة للتنافس والتميز، ومن ثم، فإنه يستلزم اعتيادا وتعودا[٦].

ولعل لزوم ديمومة صفة (الإيجابية) في العمل، في الوقت الذي تختلف فيه مظاهر العمل وحقوله ومجالاته يعني أن النظر في إمكان كمال الجنبة العملية في الإنسان مرهون بإثبات صفة (الإيجابية) فيه، فصفة (الإيجابية) دليل على كمال، وعلامة على تحقق الأثر. فالإيجابية ظرف العمل ومستودعه وسقاؤه، وما منبت العمل الحق إلا في ذلك الظرف، وإلا فلا صفة حق للعمل. وهناك، فضلا عن العمل، مظهرا التفكير الإيجابي، والشعور الإيجابي. وهذا يعني أن (الإيجابية) مرتبة عالية من المشاركة الاجتماعية والفاعلية العقلانية والتواصل العاطفي والانسجام النفسي. فالإيجابية في العمل دليل نتوصل به إلى معرفة جودة العمل. وعليه، فإن امتلاك العمل صفة الإيجابية يعني امتلاكنا نحن، أخص مراقبي العمل وطالبي معرفته، دليلا ناجعا على أن العمل نتيجة معقولة لتمام عقلي ومجاهدة نفسية وسويّة عاطفية، وأنه يستلزم جهدا عاطفيا يبذله الفرد وهو يتوجه بعمله إلى الآخرين، كيما يؤدي ما أنيط به من عمل عاطفي على أحسن وجه، وهو بذلك، وأثناء ممارسته لعمله وقبل ممارسته، يداخله نوع انشراح وشوق وسعادة وإصرار، وكل ذلك مترتب على طلب أو نزوع وميل نفسيين نحو العمل الذي يحقق صفة الكمال، من حيث إن صفة الكمال كامنة أصلا في العامل الذي يشكّل ما يشبه السِّقاء بالنسبة إلى الماء، ثم تفيض صفة الكمال على العمل وتتلبّسه نتيجة لامتداد ذات العامل إلى العمل..

ولكي تتحول الإيجابية إلى صفة دائمة وملازمة للعمل لابد من ترويض النفس على العمل حتى يصير ديدنا يُعاد إليه ويُواظب عليه فيُلزم، ولاشك أن مآل تحقق الاعتياد النفسي هو المزيد من القوة والصلابة والثبات، «نعم إن أهم أساس في مسلكنا بعد الإخلاص التام هو الثبات والمتانة. وبهذه المتانة حدثت وقائع كثيرة أثبتت أن هؤلاء الذين نذروا حياتهم في خدمة النور يقابل كل منهم مائة شخص، فالشخص الاعتيادي الذي لا يتجاوز عمره

(١) المصدر نفسه؛ ص٦٨١.

الثلاثين قد فاق أولياء يتجاوزون الستين من العمر»[1].

وبناء على ما سبق كله، وبمقاربة أخرى لما ورد في (كليات رسائل النور)، ممتدا ومستفيضا، صريحا مرة ومنسربا في أثناء الحديث مرة أخرى، وبتقصٍّ حريص لحيثيات ذلك الحديث ومعالجاته ورؤاه وأفكاره المتعلقة بمفهوم العمل الإيجابي، نخلص، من خلال الجمع بين حقلي المعجم اللغوي وكليات رسائل النور إلى المقوّمات والعناصر الآتية التي تشكل البنية التكوينية لمفهوم العمل الإيجابي لدى النورسي.

ثانيا: مقوّمات العمل الإيجابي:

١- المشاركة والحوار: لعل المعنى الأهم من معاني كلمة (عمل) هو المعنى المنطوي على فكرة مشاركة الآخر بالولاية، بكل ما تعنيه هذه الولاية من معاني النصرة والمحبة والمحالفة، فضلا عما تشتمل عليه كلمة (الولي) من معاني؛ الرَّبُّ والمالِك والسَّيِّدُ والمُنْعِم والمُعْتِقُ والتَّابع والعَقِيدُ والعَبْدُ والمُنْعَمُ عليه[2].

إن التوجّه إلى الآخر بالعمل ومشاركته له في أمره وشأنه مشاركة الناصر المحب المحالف هو الأصل الذي تبنى عليه صفة الإيجابية في العمل، «بمعنى أوسع، تُفْهَم المشاركة بوصفها أفعالا إيجابية يؤديها الأفراد نحو مجتمعهم»[3]. وهذا هو المرتكز الذي يستند إليه النورسي وهو يتوجه إلى طلابه بقوله؛ «في مثل هذه الاوقات العصيبة، وامام هذه الاحداث الجسام، فان اعظم قوة لدينا – بعد قوة الاخلاص– هي قوة "الاشتراك في الأعمال الآخروية" اذ يكتب كل منكم في دفتر اعمال أخوته حسنات كثيرة مثلما يرسل بلسانه الإمداد والعون إلى قلعة التقوى وخنادقها»[4]. ومن ثم فإن «أنجع علاج في هذه الدنيا، ولاسيما في هذا الزمان، وبخاصة المبتلين بالمصائب، ولطلاب النور الذين انتابهم ضجر شديد ويأس قاتم هو: تسلية أحدهم الآخر، وإدخال السرور في قلبه، وإمداد قوته المعنوية وضماد جراحات الضيق والحزن والسأم، وتلطيف قلبه المغموم، كأخ حقيقي مضحٍّ. إذ الأخوة الحقة والآخروية التي تربطكم لا

(١) كليات رسائل النور، مج٧، الملاحق؛ ص٢١٦.

(٢) لسان العرب، مادة؛ (ولى).

(٣) مفاتيح اصطلاحية جديدة– معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، طوني بينيت؛ ٦٢٠.

(٤) كليات رسائل النور، مج٧، الملاحق؛ ص٧٠– ٧١.

تتحمل التحيّز والإغاظة»[1]. وإذا كانت القاعدة في العمل المادي_ الشُغُل، هي المشاركة فهي في العمل المعنوي أولى، والعمل العبادي بها أحق، ولا شك أن نتائجها أنجع، «إذ سيدخل مجموع أعمال المشتركين، وجميع النور النابع منها، سيدخل بتمامه في دفتر أعمال كل منه.. وهذا أمر مشهود وواقع بين أهل الحقيقة، وهو من مقتضيات سعة رحمة الله سبحانه وكرمه المطلق»[2]. وهكذا يجيء النداء الحميم حثيثا؛ «فيا طلاب رسائل النور و يا خدام القرآن! نحن جميعا أجزاء وأعضاء في شخصية معنوية جديرة بأن يطلق عليها: الإنسان الكامل.. ونحن جميعا بمثابة تروس ودواليب معمل ينسج السعادة الأبدية في حياة خالدة. فنحن خدام عاملون في سفينة ربانية تسير بالأمة المحمدية إلى شاطئ السلامة وهي دار السلام»[3].

٢- **الصحّة والجودة:** إن إعمال الذهن في الشيء وتدبّره بفهمه رأيا وآلةً ولساناً، واستعمال كل ذلك أثناء ممارسة العمل وقبل ممارسته، هو الشرط الرئيس للانتقال بالعمل من مرتبة الفعل الغُفْل إلى مرتبة الصحة والجودة، وهو ما يشكّل منطلقا رئيسا من منطلقات امتلاك العمل إيجابيته، وهذا ما وعاه النورسي بعمق وهو يؤكد في أكثر من مرة، شرط الإخلاص في العمل ولكن بقرينة التفكّر في أن الدافع إلى العمل هو الأمر الإلهي لا غير، وأن نتيجته هي كسب رضاه وحده، ثم عدم التدخل في الشؤون الإلهية[4].

٣- **الطوعية:** و لا يقل أهمية عن المعنيين السابقين، المعنى الذي يؤكد صفة الطبع في العمل الحق، وأنها شرط في جودته. ومن هنا نفهم قرن الإيمان بالعمل الصالح في القرآن الكريم، ذلك أن صلاح العمل لا يتحقق كما يجب إن لم تتحول الممارسة العملية إلى ممارسة طبعية طوعية، وهنا يصير العمل خدمة، وفي الخدمة «لذة تفوق كل شيء، حتى أنها تفوق مرارة الجوع وترجح على ألم الموت»[5].

---

(١) كليات رسائل النور، مج٣، اللمعات؛ ص٥٤٥.

(٢) المصدر نفسه؛ ص٢٤٩.

(٣) المصدر نفسه؛ ص٢٤٣.

(٤) المصدر نفسه؛ ص٢٠١.

(٥) المصدر نفسه؛ ص ١٩٠.

٤- **البنائية، أو بنيوية العمل**: للبنية معنى خاص، مفاده؛ «وهو إطلاقها على الكل المؤلف من الظواهر المتضامنة، بحيث تكون كل ظاهرة منها تابعة للظواهر الأخرى، ومتعلقة بها»[١]. والبناء هو؛ «مجموعة القوانين التي تحكم سلوك النظام ومكوناته إذ يمكن أن تحل إحداها محل الأخرى»[٢] وشرط البنائية في العمل، على وفق مفهوم البنية، شرط جودة ودليل إيجابية. ومن هنا نفهم قول النورسي، «إن الحياة نتيجة الوحدة والاتحاد، فإذا ذهب الاتحاد المندمج الممتزج، فالحياة المعنوية تذهب أيضا أدراج الرياح»[٣]. وهو يخاطب طلاب رسائل النور؛ «فإن بضع أشخاص من أمثالكم من خدام الحق إذا عمل كل منهم على انفراد من دون اعتبار لتقسيم الأعمال فإن قوتهم تكون بقوة ثلاثة أو أربعة أشخاص، بينما إذا ما عملوا متساندين بأخوة حقيقية، مفتخرا كل منهم بفضائل الآخرين، حتى يبلغوا سر الفناء في الأخوة ان يكون أحدهم هو الآخر بنفسه، أقول: إنهم إذا ما عملوا هكذا فإن قيمة أولئك الأشخاص الأربعة تكون بمثابة أربعمائة شخص»[٤]. ويقول في موضع آخر؛ «إن هذا الزمان-لأهل الحقيقة- زمان الجماعة، وليس زمان الشخصية الفردية وإظهار الفردية والأنانية. فالشخص المعنوي الناشئ من الجماعة ينفذ حكمه ويصمد تجاه الأعاصير. فلأجل الحصول على حوض عظيم، ينبغي للفرد إلقاء شخصيته وأنانيته في ذلك الحوض وإذابتها فيه. وإلا ستذوب حتما تلك القطعة من الثلج، وتذهب هباء وتفوت الفرصة من الاستفادة من ذلك الحوض أيضا»[٥]. ولديمومة هذه الرؤية البنيوية التي تفضي بالعمل إلى تحقيق إيجابيته، يؤسس النورسي لدساتير بنيوية تحفظ للعمل تلك الديمومة، ومنها هذا الدستور النفسي ذي الطابع البنائي، بامتياز، فيقول في الدستور الثاني؛ «دستوركم الثاني هو عدم انتقاد إخوانكم العاملين في هذه الخدمة القرآنية، وعدم إثارة نوازع الغبطة بالتفاخر والاستعلاء. لأنه كما لا تحاسد في جسم

---

(١) المعجم الفلسفي؛ ج١/ ص٢١٨.

(٢) المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، الدكتور نعمان بو قرة؛ ص٩٤.

(٣) كليات رسائل النور؛ مج٧، الملاحق؛ ص٥٨.

(٤) المصدر نفسه؛ ص٥٩.

(٥) المصدر نفسه؛ ص١٦٣.

الانسان بين اليدين، و لا انتقاد بين العينين، و لا يعترض اللسان على الأذن، ولا يرى القلب عيب الروح، بل يكمّل كل منه نقص الآخر ويستر تقصيره ويسعى لحاجته، ويعاونه في خدمته.. وإلا انطفأت حياة ذلك الجسد، ولغادرته الروح وتمزق الجسم»[١].

٥- **الإرادة الواعية والجهد الشعوري**: العمل فعل إرادي واع، يستلزم مزيدا من الشقاء والعناء والجهد والمجاهدة. و لاشك أن أصى أنواع المجاهدة ذلك النوع الذي يستلزم عناء نفسيا وشعوريا يستطيع العامل بوساطته تخطي ما يعترضه من عقبات خارجية وداخلية. ولهذا يقول النورسي؛ «أما الآلام والأوجاع الروحية، فهي أسواط ربانية تحث على المجاهدة والصبر، إذ تقتضي الحكمة الحيلولة دون الوقوع في اليأس وكذلك دون البقاء في الاطمئنان والأمان، وذلك بالموازنة بين الخوف والرجاء، مع التجمل بالصبر والتحلي بالشكر»[٢]. ويترتب على ذلك أن امتلاك العمل مقوّم الإرادة الواعية والجهد الشعوري يستلزم اعتماد مبدأ التضحية، وذلك على وفق النورسي؛ «إننا مكلفون بالتضحية بحياتنا وكرامتنا وسعادتنا الدنيوية (...) وبهذا تُسكتون النفس الأمارة. وإن دار حول مسألة نقاش ونزاع، فشاوروا بعضكم. لا تشددوا، أوغلوا برفق، الناس ليسوا سواسية في المشارب. ينبغي أن يتسامح بعضكم مع البعض الآخر»[٣].

٦- **الدافعية**: يطلق مصطلح (الدافع) على ما يحرك نشاط الإنسان، وما يضبطه من حيث الجنبة الانفعالية التي تضبط نشاط الفرد وتدفعه إلى الحركة نحو غايته، فهو إذاً مبدأ الفعل والتغيير. ودوما، هناك «دافعان يؤثران في سلوك الإنسان، ويحددان اتجاهه، الأول هو ما تنطوي عليه طبيعته من الغرائز العمياء، والثاني هو ما يتضمنه عقله من التصورات الواضحة، فإذا خضع الإنسان للدافع الأول كان مسيرا بالأهواء، وإذا خضع للدافع الثاني كان عمله معقولا»[٤]. و لا شك أن خيرية العمل الأول

---

(١) المصدر نفسه؛ مج٣، اللمعات؛ ص٢٤٢.

(٢) المصدر نفسه؛ مج٧، الملاحق؛ ص ١٠٢.

(٣) كليات رسائل النور؛ مج٧، الملاحق؛ ص ٢١١- ٢١٢.

(٤) المعجم الفلسفي؛ ج١/ ص٥٥٧.

ونقاءه من جهة، و خبثه ورداءته من ناحية أخرى مرتبطان ارتباطا وثيقا بتلك الدوافع الباطنة) التي لاحت الإشارة إليها في معرض سرد مرات الاستعمال الاجتماعي لمادة (عمل).

ولعلنا لا نجافي الحقيقة إذا قلنا إن أكثر ما شغل النورسي وهو يؤسس لـ(عمله الإيجابي) هو تلك الدوافع، وإن عنايته بتخلية نفس (العامل) من الدوافع السلبة كان المقدّم عنده، ذلك لأن تخلية النفس من أهوائها يعني العود بها إلى فطرتها السليمة، فطرة النقاء والخيرية والإخلاص والعدالة. وعلى هذا الأساس لا يمكن الجمع بين الدافعين السلبي والإيجابي بدءا بتحقق نيّة العمل، وخلوصا إلى تحققه في الواقع المجتمعي. لهذا كله نجد يقول مثلا؛ «العداء والمحبة نقيضان- كما لا يخفى- فهما كالنور والظلام لا يجتمعان معا بمعناهما الحقيقي أبدا. فإذا ما اجتمعت دواعي المحبة وترجحت أسبابها فأرست أسسها في القلب، استحالت العداوة إلى عداء صوري، بل انقلبت إلى صورة العطف والإشفاق، إذ المؤمن يحب أخاه، وعليه أن يوده، فأيما تصرف مشين يصدر من أخيه يحمله على الإشفاق عليه، وعلى الجد في محاولة إصلاحه باللين والرفق دون اللجوء إلى القوة والتحكم (...) أما إذا تغلبت أسباب العداوة والبغضاء وتمكنت في القلب، فإن المحبة تنقلب عندئذ إلى محبة شكلية تلبس لبوس التصنع والتملق»[1]. وهكذا يتميز الدافع من الدافع، ويرجح دافع المحبة ويحقق قوامه وقيموميته على الضد من دافع العداء، وتصير المحبة علاجا ناجعا، ويتحقق بها قوام «العمل الإيجابي البناء»، وهو؛ «عمل المرء بمقتضى محبته لمسلكه، من دون أن يرد إلى تفكيره، أو يتدخل في علمه عداء الآخرين، أو التهوين من شأنهم»[2]. وأما الذي على الطرف الآخر للعمل الإيجابي البناء فهو الفساد والمفاسد، «فاعلم، إن المفاسد التي هي سبب العداء والبغضاء كثيفة في نظر الحقيقة، كالتراب والشر نفسه، وشأن الكثيف أنه لا يسري و لا ينعكس إلى الغير- إلا ما يتعلمه الإنسان من شر من الآخرين- بينما البر والإحسان وغيرهما من أسباب المحبة فهي لطيفة كالنور وكالمحبة نفسها، ومن شأن النور الانعكاس والسريان إلى الغير»[3]. وهكذا يرجح دافع الإيمان بعدِّهِ محرّكا وموجّها وضابطا للعمل، فيقول النورسي؛

(١) كليات رسائل النور، مج٢، المكتوبات؛ ص٣٤٠.

(٢) المصدر نفسه؛ مج٣، اللمعات؛ ص٢٢٨.

(٣) المصدر نفسه؛ مج٢، المكتوبات؛ ص٣٤٣.

«نعم إن الإيمان بعقيدة واحدة، يستدعي حتما توحيد قلوب المؤمنين بها على قلب واحد، و وحدة العقيدة هذه، تقتضي وحدة المجتمع. فأنت تستشعر بنوع من الرابطة مع من يعيش معك في طابور واحد (...) فما بالك بالإيمان الذي يهب لك من النور والشعور ما يريك به من علاقات الوحدة الكثيرة، وروابط الاتفاق العديدة، ووشائج الأخوة الوفيرة ما نبلغ عدد الأسماء الحسنى»[١].

إن تأسيس دافعية العمل تأسيسا (جوانيا) باطنيا ابتداء هو الذي يجعل العمل ناجعا، وإن كانت البيئة التي يجري فيها هذا العمل بيئة اختلاف، ذلك أن الاختلاف المنضبط بدافع المحبة اختلاف يقبل الآخر، ويحرص على تصحيح مسارات النقص ويحرص على رأب الصدع والإصلاح، على عكس الاختلاف الذي يحركه الدافع السلبي، الذي مبعثه الحقد والضغينة والعداوة[٢]. وهنا يرشح الدافع الإيماني بعدِّهِ ضابطا لطلب الحقيقة، التي إن طلبت بتوجيه من ذلك الدافع صار طلبها هيّنا، وصارت مظاهرها أكثر جلاء، أما إن كان طلب الحقيقة منضبطا بدافع الهوى النفسي ممثلا بالتسلط والاستعلاء وإشباع الشهوات ونيل الشهرة وحب الظهور...الخ، فلا ظهور إيجابيا للحقيقة[٣].

ولأن لكل شيء ثمرة، فثمرة ذلك الدافع الإيماني، الإخلاص في العمل والعدالة في النظر إلى الآخر[٤]، وهو ما يشكل من زاوية أخرى مقوما جديدا من مقومات العمل الإيجابي، وسببا رئيسا من أسباب ديمومته، «فإذا لم يكن العمل خالصا لله وحده، فإن الحسد يتدخل فيفسد العمل»[٥]. والذي يجعل الإنسان يحرز الإخلاص «هو تفكره في أن الدافع إلى الإخلاص هو الامتثال للأمر الإلهي»[٦]. وعلى أساس، أن الإخلاص، وإن كان في أعمال الشر، «لا يذهب سدى، ولا يكون دون نتيجة»[٧]، يجد المخلصون آثار إخلاصهم فيهم؛

(١) كليات رسائل النور؛ مج٢، المكتوبات؛ ص ٣٤١.
(٢) انظر: المصدر نفسه؛ ص ٣٤٧.
(٣) انظر: المصدر نفسه؛ ص ٣٤٧.
(٤) انظر: المصدر نفسه؛ ص٣٥٠.
(٥) انظر: المصدر نفسه؛ ص٥٥١.
(٦) المصدر نفسه؛ مج٣، اللمعات؛ ص٢٠١.
(٧) المصدر نفسه؛ ص٢٢٨.

عبودية عزيزة، ولينا ولكن دونما ذلة لمخلوق، وفقرا ولكن إلى الله لا إلى العباد، وضعفا مستندا إلى قوة سيدهم المطلقة[1]. وللإخلاص، على وفق النورسي مقومات دافعية هو الآخر، هي؛ العمل بمقتضى المحبة، وتحري روابط التلاقي والاتفاق والانسجام مع الآخر، واتخاذ دستور الإنصاف دليلا ومرشدا إلى قبول الآخر، والبحث عما يحقق الاتفاق مع أهل الحق، على الرغم من مخالفتهم في الجزئيات، والقوة المعنوية المتأتية من تضامن الجماعة، وترك غرور النفس، وما يُتصوّر أنه ليس صحيحا في الآخر، وترك دواعي الحسد والمنافسة السالبة[2].

٧- **المهارة والتخصص والمهنية أو واقعية العمل ومثاليته:** جاء في الاستعمال الاجتماعي لكلمة (عمل)، مما سبق بيانه في موضع قريب، قولهم؛ «حَبْلٌ مُسْتَعْمَلٌ قد عُمِل به ومُهِن»، وقولهم؛ «العَوامِل بَقَر الحَرْث والدِّياسة». ويقول النورسي، وهو يمايز بين التراجع المجتمعي والحضاري لأهل الحق مقارنة بتقدم أهل الضلالة؛ «إن اختلاف أهل الحق ليس ناشئا من فقدان الشهامة والرجولة ولا من انحطاط الهمة وانعدام الحمية، كما أن الاتفاق الجاد بين الغافلين الضالين الذين يبغون الدنيا في أمورهم ليس ناشئا من الشهامة والرجولة ولا من الحمية وعلو الهمة. بل إن أهل الحق وجهوا نظرهم إلى ثواب الآخرة- على الأكثر- فتوزع ما لديهم من حمية وشهامة إلى تلك المسائل المهمة والكثيرة، ونظرا لكونهم لا يصرفون أكثر وقتهم-الذي هو رأس مالهم الحقيقي- إلى مسألة معينة واحدة، فلا ينعقد اتفاقهم عقدا محكما مع السالكين في نهج الحق، حيث إن المسائل كثيرة والميدان واسع جدا. أما الدنيويون الغافلون، فلكونهم يحصرون نظرهم حصرا في الحياة الدنيا-فهي أكبر همهم ومبلغ علمهم- تراهم يرتبطون معها بأوثق رباط وبكل ما لديهم من مشاعر وروح وقلب»، ويستطرد حتى يقول؛ «ولا يقولن أحدكم: "سأصرف وقتي الثمين في قراءة الأوراد والأذكار والتأمل، بدلا من أن أصرفه في مثل هذه الأمور الجزئية" فينسحب من الميدان ويصبح وسيلة في توهين الاتفاق والاتحاد وسببا في ضعف الجماعة المسلمة،

---

(١) انظر: المصدر نفسه؛ ص١٨١.

(٢) انظر: المصدر نفسه؛ ص٢٢٨-٢٢٩.

ذلك لأن المسائل التي تظنونها جزئية وبسيطة ربما هي على جانب عظيم من الأهمية في هذا الجهاد المعنوي»[1]. والذي يُستظهر من كلام النورسي، هو إيمانه بضرورة أن يكون العمل واقعيا، مع مراعاته الجنبة المثالية والمعنوية المراعاة التي توازن بين العمل الآخروي والعمل الدنيوي دونما تضحية بأحدهما على حساب الآخر. ويذهب إلى أبعد من ذلك فيقول؛ «إن شرا قليلا يُقبل به للحصول على خير كثير، إذ لوتُرك شرّ ينتج خيرا كثيرا للحيلولة دون حصول ذلك الشر القليل، لحصل عندئذ شر كثير»[2]. وفضلا عما سبق، فالعمل الإيجابي عمل تخصصي، يراعى فيه جنبة المهنية لأنه بلزومه شرط التخصص والمهنية يكتسب مهارته ويحقق آثاره المجتمعية.

٨- **التابعية**: وهاهنا، مقوم آخر قلما يُلتفت إليه بغية تحقيق العمل إيجابيته، ألا وهو أن يتخلص العامل لحظة نيّته أداء عمله، وفي أثناء أدائه، من هاجس القيادة، ،أن يكون متبوعا لا تابعا.

وقد جاء في الاستعمال الاجتماعي لكلمة (عمل)، مما توقفنا عنده في موضع سابق، قولهم؛ «وعامِلُ الرُّمح وعامِلته صَدْرُه دون السِّنان»، ولا شك أن صدر الرمح دون سنانه، فهو تالٍ له تابع في وجوده العملي لعمل السنان، بل إنه حامل للسنان، وإن السنان مرتكز في تحقيقه لغايته إلى قوة الصدر في الرمح. وبمقاربة هذا المعنى سيميائيا يتضح أن قوة العمل والعاملين كائنة، في جانب من جوانبها، في من يشكّلون صدر العمل لا سنانه. وهذا ما يتوقف عنده النورسي بنباهة فذّة، إذ يقول، وهو يعرض للأمراض الاجتماعية الناشئة عن فقدان الإخلاص المترتب على ممارسة العمل بدافعيته السالبة، ثم يصف العلاج قائلا؛ «وعلاج هذا المرض الوبيل ودواؤه هو: الافتخار بصحبة السالكين في منهج الحق، وربط عُرى المحبة معهم (...) ثم السير من خلفهم وترك شرف الإمامة لهم (...) ثم إيثار البقاء في مستوى التابع دون التطلع إلى تسلم المسؤولية التي قلما تسلم من الأخطار»[3].

---

(١) كليات رسائل النور، مج٣، اللمعات؛ ص٢٣٤-٢٣٥.

(٢) المصدر نفسه، مج٢، المكتوبات؛ ص٥٢.

(٣) كليات رسائل النور، مج٣، اللمعات؛ ص٢٣٢-٢٣٣.

المحور الثاني؛ هوية العمل الإيجابي:

للهوية، «علاقة بالتطابق مع الذات عند شخص ما أو جماعة اجتماعية ما في جميع الأزمنة وجميع الأحوال؛ فهي تتعلق بكون شخص ما أو كون جماعة ما قادرا أو قادرة على الاستمرار في أن تكون ذاتها، وليس شخصا أو شيئا آخر (...) ويتركز سؤال الهوية على تأكيد مبادئ الوحدة، في مقابل التعدد والكثرة، والاستمرار، في مقابل التغيّر والتحوّل»[1]. ونحن إذ ننظر في مفهوم العمل الإيجابي لدى سعيد النورسي، نجد أن النورسي يحرص، وهو يؤسس لعمله الإيجابي، على أن يستنبت مفهوم العمل وجوده المعرفي والاجتماعي في تربته الخاصة التي تشكّل حاضنته الاجتماعية والثقافية. فالعمل الإيجابي لدى النورسي سلوك الأمة ذاتها، بكل ما لتلك الأمة من خصوصية عقدية وحضارية، والأمة بجنبتيها العقائدية والحضارية هي الضامن التاريخي والاجتماعي والثقافي لديمومة ذلك العمل واستمراره ونجاعته، فالعمل الإيجابي لدى النورسي ليس شيئا آخر غير ما أراده القرآن للأمة، وهو ليس صفة أخرى غير ما أرادته الأمة لأبنائها، بكل ما لتلك الأمة من صفات التعدد والكثرة والتنوع. وعلى هذا الأساس، هاهنا توقف عند جنبتَيْ تلك الهوية، وهما؛ الجَنبَة القرآنية، والجنبة الحضارية.

أولا: قرآنية العمل الإيجابي:

لعل محاولة الكشف عن ملامح الهوية القرآنية للعمل الإيجابي لدى النورسي لا تستلزم مزيد عناء، ذلك أن الأصل الوجودي والهرمنيوطيقي لبنيان كليات رسائل النور بمجمله هو أصل قرآني. ولكن المحاولة تبدو غير ذلك حينما يُقصد بها الكيفية التي فهم بها النورسي النص القرآني واستنطقه وثوَّر معانيه، ثم الكيفية التي تم بوساطتها للنورسي تنزيل معاني القرآن الكريم على الواقع الفردي والمجتمعي. خلاصة القول إن محاولتنا تقصّي الهوية القرآنية للعمل الإيجابي يقتضي تجاوز الأشكال البسيطة للتوظيف النورسي للنص الكريم، إلى البحث في الأصل الجامع الذي لنا أن نرد إليه كل ما ورد من آيات قرآنية استند إليها النورسي في تأسيسه لمفهوم العمل الإيجابي، بغية تحقيق رؤية معرفية إبيستيمولوجية لتلك الهوية. وها هنا، محاولة في ذلك، من خلال نصين قرآنيين، لهما علقة بالعمل الذي يستلزم فيه القرآن الكريم ما يستلزم من أجل امتلاكه جودته وإيجابيته.

---

(١) مفاتيح اصطلاحية جديدة؛ص٧٠٠-٧٠١.

١- قال تعالى؛ ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾[١]. وقد جاء في تفسير الآية المباركة؛ «كل من ظهر بدعوى أو تعرض لمقام من المقامات يقال له: ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ﴾، فإن كان إمره مبنياً على أساس الإخلاص والتقوى ثبت وانتهض، وشعشع نوره، وإن كان مبنياً على غير أساس، افتضح وكَسَف نوره، وسيرد الجميع إلى عالم الغيب والشهادة، فيجازي كلاً بعلمه»[٢].

٢- جاء في القرآن الكريم، في معرض قصّه لتسخير الشياطين والجن لسليمان، قوله تعالى؛ ﴿يَعۡمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٖ كَٱلۡجَوَابِ وَقُدُورٖ رَّاسِيَٰتٍۚ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾[٣]. وقد ورد، في معرض سرد صفات أولئك العاملين، أنهم كانوا يعملون أعمالا كثيرة ومتنوعة، مطيعين يعملون بخفاء، وأنهم لا يؤذون أحدا أثناء أدائهم عملهم، وأنهم دائبون في العمل غير منقطعين، كما أن عملهم في طاعة الله، وبالمقابل ثمة الجنبة العبادية في العمل، وهي أن آل داوود مطالبون بعمل يوجب الشكر، أو إنهم يعملون، وهم في حالة من الامتنان والشكر، وأن الغاية من العمل ليست شيئا سوى شكر الله سبحانه، وأن معيارية ذلك الشكر هي الانشغال به باطنا وظاهرا، فهو صادر عن إرادة واعية[٤].

٣- ويقول سبحانه؛ ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ﴾[٥]. وقد جاء في تفسير الآية، وجوه، منها؛

- أيكم أحسن عقلاً، وأردع عن محارم الله، وأسرع في طاعة الله[٦].
- أيكم أخلص عملا وأصوب، لأنه إذا كان خالصاً غير صواب لم يقبل، وكذلك إذا

---

(١) سورة التوبة؛ آية؛ ١٠٥.

(٢) انظر: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، ابن عجيبة، تحقيق وتعليق أحمد عبدالله القرشي رسلان؛ مج٣/ص ٤٢٦.

(٣) سورة سبأ؛ آية؛ ١٣.

(٤) انظر: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد؛ مج٤، ص٤٨٠.

(٥) سورة الملك؛ آية؛ ١-٢.

(٦) انظر: البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي؛ ج١٠/ ص٢٢٠.

كان صواباً غير خالص، والخالص الذي يكون لله تعالى بإرادة القلب[1].

والبيّن من النص الكريم أن العمل معنويا عباديا كان أم دنيويا مهنيا، موضع اختبار وامتحان، وأن حسن العمل سواء كان ذلك الحسن ممثلا باستناد العمل إلى فكر نيّر وعلم فذّ، أو ممثلا بالصحة والتمام والجودة والخلوص، يشكل الملامح الرئيسة لإيجابية العمل. وهو ما استند إليه النورسي وهو يؤسس لمفهوم العمل الإيجابي.

ولعل عودة أخرى إلى كليات رسائل النور تكشف لنا عن تسرّب تلك الكليات القرآنية الأربع إلى أصول معرفية يبتني عليها النورسي معالجاته الجزئية لقضية العمل الإيجابي في هذا الموضع او ذاك من مواضع كليات النور. وإذا عرفنا أن الأصل يطلق، في نقد مبادئ العلوم وفرضياتها ونتائجها وأصلها المنطقي، على الأسباب الفاعلة أو الظرفية المؤثرة في تكوين المعرفة[2]، خلصنا إلى أن القرآن الكريم عامة، والآيات القرآنية السابقة خاصة تشكل بنية تحتية ينطلق منها البنيان النورسي للعمل، ويستند إليها، النشاط العقلي النورسي وهو يحاول أن يوائم بين تلك الكليات النورانية في الرسائل المواءمة التي نستطيع من خلالها أن نتلمس نظرية معرفية نورسية ذات هوية قرآنية. وهكذا نفهم قول النورسي؛ «إن القرآن الكريم بمثابة عقل الأرض وفكرها الثاقب، فلو خرج القرآن- والعياذ بالله- من هذه الأرض لجُنَّت الأرض، وليس ببعيد أن تنطح رأسها الذي أصبح خاليا من العقل بإحدى السيارات وتتسبب في حدوث قيامة. أجل إن القرآن عروة وثقى وحبل الله المتين يربط ما بين العرش والفرش، وهو يقوم بحفظ الأرض أكثر مما تقوم به الجاذبية، ورسائل النور هي التفسير الحقيقي والتفسير القوي لهذا القرآن العظيم»[3]. ويعزّز النورسي هذه الرؤية الإيجابية العلمية التي يستند إليها في تقرير مفهوم العمل الإيجابي، فيقول؛ «إن جمل القرآن الحكيم لا تنحصر في معنى واحد، بل هي في حكم كلي يتضمن معاني لكل طبقة من طبقات البشرية، وذلك لكون القرآن الكريم خطابا لعموم طبقات البشر. لذا فالمعاني المبينة في حكم جزئيات لتلك القاعدة الكلية، فيذكر كل مفسر، وكل عارف بالله جزءا من ذلك المعنى الكلي ويستند في

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، التستري، حققه وضبطه طه عبدالرؤوف سعد، و سعد حسن محمد علي؛ ص٢٨٣.

(٢) المعجم الفلسفي؛ج١/ ص٩٩.

(٣) كليات رسائل النور؛ مج٤، الشعاعات؛ ص٤٤٤.

تفسيره هذا إما إلى كشفياته أو إلى دليله أو إلى مشربه، فيرجّح معنى من المعاني»[1].

وبناء على هذه القناعة المعرفية التي تكشف عن أصولها المنهجية، وتنزيلا لها على الواقع، يقول في موضع آخر؛ «إن الشخص المعنوي لرسائل النور قد شخّص أمراض هذا العصر الاجتماعية والروحية والدينية، وعرض لإنسان هذا العصر بعناية الله ما يداويه من العلل الاجتماعية المزمنة بأدوية نابعة من حقائق القرآن»[2]، ولاشك أن العمل الإيجابي أحد أهم الأدوية التي نبعت من تربة القرآن، فهي صبغته المعرفية، وإجراؤه البشري، وهو هويتها الثقافية والاجتماعية.

ولنتوجه الآن إلى بعض المعالجات الجزئية المترتبة على ذلك الأصل، ولننظر إلى النورسي، وهو يؤكد مفهوم الإخلاص بعدِّهِ مقوّما رئيسا من مقوّمات العمل الإيجابي، ويضع دساتير أو معايير ضابطة لذلك الإخلاص. يقول في الدستور الأول والأهم عنده؛ «دستوركم الأول: ابتغاء مرضاة الله في عملكم (...) لذا ينبغي جعل رضى الله وحده دون سواه القصد الأساسي في هذه الخدمة.. خدمة القرآن»[3]. ولهذا يصير الصبر والشكر في أثناء أداء العمل أثرا خارقا من آثار الإحسان الإلهي للعاملين، وتصير المصائب والمضايقات وسيلة لكسب ثواب أكثر ونيل أجر أكبر، ويترتب على ذلك الالتذاذ بنوع سعادة داخلية كلذة السعادة الأبدية، وهذا ما لا يكون إلا لأولئك العاملين الإيجابيين، وبامتياز[4]. وكل ذلك لأن «الدين ليس عبارة عن الإيمان فقط، بل العمل الصالح أيضا هو الجزء الثاني من الدين (...) ورسائل النور تضع مع كل شخص في كل وقت رقيبا معنويا من جهة العمل الصالح ومن جهة الإيمان»[5].

ولعلنا، ونحن ننظر إلى هذه المعالجات الجزئية على ضوء تلك الكليات، وبهدي من ذلك الأصل، نستطيع أن نخلص إلى آلية التساند والتعاضد، ومنهجية التخارج والتداخل الكائنة بين تلك الآيات الأصول وبين هذه المعالجات الفروع، بما يثبت مرة أخرى الهوية القرآنية لمفهوم العمل الإيجابي وإجراءاته لدى النورسي.

---

(١) المصدر نفسه، مج٢، المكتوبات؛ ص٤٢٢.

(٢) كليات رسائل النور؛ مج٤، الشعاعات؛ ص٥٠١.

(٣) كليات رسائل النور؛ مج٣، اللمعات؛ ص٢٤٢.

(٤) المصدر نفسه؛ مج٤، الشعاعات؛ ص٣٦٧.

(٥) المصدر نفسه؛ مج٤، الشعاعات؛ ص٣٣٨.

٢- حضارية العمل الإيجابي:

لا شك أن بقاء المنجز الحضاري وديمومته أهم من أوليّة نشأته، و لاشك أيضا أن ديمومة الحضارة مرهونة بشروطها التي تتجاوز صفتها التاريخية إلى صفتها الثقافية والاجتماعية. وغير خاف أن السبب الرئيس الذي ضمن للحضارة الإسلامية قدرة البقاء والانبعاث هو النص القرآني الحضارة. فالحضارة لا تنحصر في المنجز المديني ممثلا بالجوانب المادية؛ العمرانية والاقتصادية والتنظيمية، وإنما تمتد لشمل الجنبة الثقافية التي «تعنى بالجوانب المعرفية والأخلاقية والروحية والجمالية. وأن مكان العقائد والأديان إنما يحتل مساحة ما من الجانب الثقافي للحضارة»[١]. هاتان الجنبتان المتضافرتان، هما ما يشير النورسي إليهما متوقفا عند إشكالات الميل لصالح الجنبة المدينية منهما، وما يترتب على ذلك الميل من مفاسد، يحرص المشروع الحضاري الإسلامي على تجاوزها. يقول النورسي؛ «إنه بطغيان ذنوب المدنية على محاسنها، ورجحان كفة سيئاتها على حسناتها، تلقت البشرية صفعتين قويتين بحربين عالميتين، فأتتا على تلك المدنية الآثمة، وقاءت دماء لطّخت وجه الأرض برمتها. وسوف تتغلب بإذن الله محاسن المدنية بفضل قوة الإسلام التي ستسود في المستقبل، وتطهّر وجه الأرض من الأدناس وتحقق سلاما عاما للبشرية قاطبة»[٢].

ومن هنا نقول إن المشروع الحضاري الذي يتبناه فرد من أفراد الأمة أو مجموعة أفراد عبر المكان والزمان مشروط بالكشف عن الطريقة التي يجيب بها ذلك المشروع عن التحديات التي تحيط بالأمة. ذلك، «إن المشروع الحضاري هو الطريقة التي يجيب بها أبناء أمة من الأمم على تحديات الواقع وأسئلة التاريخ، وتلك الطريقة أو الكيفية تميز نشاط الحكومات في كبرى المسائل، كما تميز نشاط الأمهات في البيوت، والعمال في الحقول...»[٣]. والحق أن رسائل كليات النور، وهي تحاول أن تجيب عن تحديات الواقع، ثم، وهي تجهد في ترسيم معالم الطريقة النورانية في العمل، تستحق بجدارة أن نطلق عليها وصف؛ المشروع الحضاري. أما هوية ذلك المشروع فمرتبطة ارتباط رئيسا بما يشكل ضامن تلك الحضارة والمشروع، ألا وهو النص القرآني الكريم وما تمثلته الأمة الإسلامية من ذلك النص عبر التاريخ، وهو ما يشكل هوية

(١) مدخل إلى الحضارة الإسلامية، د. عماد الدين خليل؛ مقدمة المؤلف؛ ص١١.
(٢) كليات رسائل النور، مج٨، صيقل الإسلام؛ ص٥٠١.
(٣) المشروع الحضاري- نحو فهم جديد للواقع، أ.د. عبدالكريم بكار؛ ص٧.

المنجز المعرفي والثقافي الإسلامي، ومن ثم فهو يشكل الهوية الحضارية لرسائل النور. أما الكيفية الإجرائية لذلك النموذج الحضاري ممثلة بمفهوم العمل الإيجابي وإجراءاته الاجتماعية والثقافية في رسائل النور، ولدى طلاب رسائل النور، ومجتمع رسائل النور من المتلقين المعاصرين لتلك الرسائل، فهي ما يشكل التمثلات النورسية لتلك الهوية الحضارية، وهي التمثلات التي بدت واضحة في مجمل رسائل النور، وخاصة، في "صيقل الإسلام"، حينما يعرض النورسي لمشروعه الحضاري هناك، ويبين استعداد المشروع الإسلامي للبقاء والرقي، حينما يتوفر له مجموع قوى واعية يتسلح بها عقل واع، يطلق عليه النورسي الشخصية المعنوية للعالم الإسلامي[1].

وبناء على ما سبق، تصير واضحة، الهوية الحضارية للعمل الإيجابي النورسي، وتنكشف هويته القرآنية والإسلامية في قولاته الآتية، على سبيل المثال، لا على سبيل الحصر؛

١- **الكرامة الإنسانية**. فالعمل الإيجابي المستند إلى العلم هو الذي يحفظ للإنسان كرامته وشرفه وعزته، وهذا ما يؤكده النورسي في رسائل النور قاطبة، ولننظر إليه في موضع من مواضع عدة تتعلق بتلك الكرامة، وهو يقول؛ «إن الإنسان هو أكرم المخلوقات وأشرفها. لأنه يستطيع أن يكشف بعقله عن مراتب الأسباب الظاهرية في خلق الكائنات ونتائجها، ويعرف العلل والأسباب المتسلسلة، ويستطيع أن يقلد بمهاراته الجزئية الصنائع الإلهية والإيجاد الرباني المنتظم الحكيم»[2].

٢- **خيرية العمل**. يخاطب النورسي أولئك العاملين بقوله، منتهيا بعملهم إليه سبحانه، ما يجعلهم يحافظون على الجنبة الأخلاقية في العمل، وهو ما يجعل منهم ذوي مشاعر ورؤى إيجابية متفائلة، فيقول؛ «إن الخير كله بيده، وأعمالك الخيرة كلها تُسجّل في سجلّه، وما تقدموه من صالحات الأعمال جميعها تُدرج عنده»[3].

٣- **معنوية الأجر**. يتوجه النورسي إلى العاملين بما يجعلهم يرتفعون على ما يوازي العمل من مقابل مادي زائل، بقوله الذي يشدّ أبصارهم من خلاله إلى ما بعد الحياة الدنيا، حيث تمام الأجر وهو ما يجعلهم أكثر أملا وأوفر قناعة، فيقول؛ «فما أسعدكم أنتم إذن، وقد

---

(١) كليات رسائل النور، مج٨، صيقل الإسلام؛ ٤٩٩ وما بعدها.

(٢) المصدر نفسه؛ ص٥٠٣.

(٣) المصدر نفسه؛ مج٢، المكتوبات؛ ص٢٩٤.

أتممتم خدماتكم، وأنهيتم وظائفكم، برئت ساحاتكم.. وانتهت أيام المعاناة والأعباء الثقيلة. فأنتم ماضون الآن لقبض الأجور واستلام الأرباح»[1].

٤- **الوحدة والتنوع**. وبموجب هذا المظهر من مظاهر الهوية الحضارية، يصير الانتماء عابرا للجغرافيا والتاريخ والقومية، ويقترح النورسي ما يسميه؛ القومية الإيجابية، فيقول؛ «القومية الإيجابية نابعة من حاجة داخلية للحياة الاجتماعية، وهي سبب للتعاون والتساند، وتحقق قوة نافعة للمجتمع، وتكون وسيلة لإسناد أكثر للأخوة الإسلامية. هذا الفكر الإيجابي القومي، ينبغي أن يكون خادما للإسلام، وأن يكون قلعة حصينة له، وسورا منيعا حوله، لا أن يحل محل الإسلام، ولا بديلا عنه، لأن الأخوة التي يمنحها الإسلام تتضمن ألوف أنواع الأخوة. وإنها تبقى خالدة في عالم البقاء والبرزخ»[2]. القومية الإيجابية هذه هي المناخ الصالح لتنمية العمل الإيجابي في المجتمع، أما القومية الخاضعة لمقاييس الجغرافيا والجنس، فهي القومية السلبية، وهذه نوع سلبي ومشؤوم، «يتربى وينمو بابتلاع الآخرين ويدوم بعداوة من سواه، ويتصرف بحذر، وهذا يولد المخاصمة والنزاع»[3]. وعلى هذا الأساس الإيجابي للقومية يتحقق دستور التعارف والتعاون الذي تشير إليه الآية الكريمة؛ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾[4]. ويترتب على هذا الدستور الإيجابي ما يمكن أن نسميه الوحدة في التنوع، نعم المجتمع طوائف وقبائل متنوعة، ولكنه واحد، «إذ خالقهم واحد، ورازقهم واحد، ورسولهم واحد، وقبلتهم واحدة، وكتابهم واحد، ووطنهم واحد.. وهكذا واحد، واحد.. إلى الألوف من جهات الوحدة التي تقتضي الأخوة والمحبة والوحدة. بمعنى أن الانقسام إلى طوائف وقبائل-كما تعلنه الآية الكريمة- ما هو إلا للتعارف والتعاون لا للتناكر»[5]. أما مشرب هذا العمل الإيجابي المتوجه نحو المشروع الوحدوي الحضاري والمنطلق منه فهو«

(١) المصدر نفسه؛ ص٢٩٥.

(٢) كليات رسائل النور، مج٢، المكتوبات؛ ص٤١٥-٤١٦.

(٣) المصدر نفسه؛ ص٤١٤.

(٤) سورة الحجرات، آية؛ ١٣.

(٥) كليات رسائل النور، مج٢، المكتوبات؛ ص٤١٣-٤١٤.

المحبة، وعدوه: الجهل والضرورة (الحاجة) والنفاق»[1]. وأما هدف هذا المشروع وقصده فهو؛ تحريك الرابطة النورانية، وإيقاظ المرتبطين بها بهذا التحريك، ودفعهم إلى طريق الرقي بأمر وجداني[2].

٥- **الحرية الشرعية**. وهي التي «ترشد البشرية إلى سبل التسابق والمنافسة الحقة نحو المعالي والمقاصد السامية، والتزق أنواع الاستبداد وتشتتها، والتي تهيج المشاعر الرفيعة لدى الإنسان، تلك المشاعر المجهزة بأنماط من الأحاسيس كالمنافسة والغبطة والتيقظ التام والميل إلى التجدد والنزوع إلى التحضّر»[3]. وعلى هذا الأساس ينبي فرع (الشورى) في المشروع الحضاري النورسي الذي يجيء مفهوم العمل الإيجابي بعدّه تتويجا له، وذلك تأسيسا على الآية القرآنية الكريمة؛ ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾[4]. ومن هنا فإن مفتاح سعادة المسلمين في حياتهم الاجتماعية يكمن بـ "الشورى"، أجل فكما أن تلاحق الأفكار بين أبناء الجنس البشري إنما هو شورى على مر العصور بوساطة التاريخ، حتى غدا مدار رقي البشرية وأساس علومها، كذلك الأمر في الشورى العملية، و لا يكون رفع الاستبداد إلا بالشورى والحرية الشرعية النابعة من الشهامة الإسلامية والشفقة الإيمانية، تلك الحرية التي تتزين بالآداب الشرعية وتنبذ سيئات المدنية الغربية»[5].

---

(١) المصدر نفسه، مج٨، صيقل الإسلام؛ ص٥٢٩.

(٢) انظر: المصدر نفسه؛ ص٥٢٩.

(٣) المصدر نفسه؛ ص٥٠٠.

(٤) سورة الشورى، آية؛ ٣٨ (جزء من الآية).

(٥) انظر: كليات رسائل النور، مج٨، صيقل الإسلام؛ ص٥١٤.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

.....

- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، مراجعة صدقي محمد جميل، الجزء العاشر، دار الفكر، للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت– لبنان، ١٤٢٥هـ–١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.
- البحر المديد، ابن عجينة، تحقيق وتعليق أحمد عبدالله القرشي رسلان، القاهرة، ١٤١٩هـ–١٩٩٩م.
- تفسير القرآن العظيم، التستري، حققه وضبطه طه عبدالرؤوف سعد وسعد حسن محمد علي، دار الحرم للتراث، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤.
- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت (د.ط.تا).
- كليات رسائل النور– الشعاعات، بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، مج٤، دار سوزلر للنشر، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ –١٩٩٣م.
- كليات رسائل النور– صيقل الإسلام، بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، مج٨، شركة سوزلر للنشر، القاهرة، الطبعة الثالثة، م٢٠٠٢.
- كليات رسائل النور– اللمعات، بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، مج٣، شركة سوزلر للنشر، القاهرة.
- كليات رسائل النور– المكتوبات، بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، مج٢، شركة سوزلر للنشر، القاهرة، الطبعة الثالثة، م٢٠٠١.
- كليات رسائل النور– الملاحق، بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، مج٧، شركة سوزلر للنشر، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٩٩م.
- مدخل إلى الحضارة الإسلامية، الدكتور عماد الدين خليل، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت– لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ– ٢٠٠٥م.
- المشروع الحضاري– نحو فهم جديد للواقع، أ.د. عبدالكريم بكار، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ– ٢٠١٠م.

- المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب– دراسة معجمية، الدكتور نعمان بو قرة، جدارا للكتاب العالمي، عمان– الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ– ٢٠٠٩م.
- المعجم الفلسفي، الدكتور جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني، بيروت– لبنان، ١٩٨٢.
- مفاتيح اصطلاحية جديدة– معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، طوني بينيت– لورانس غروسبيرغ– ميغان موريس، ترجمة سعيد الغانمي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت– لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠١٠.
- مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق صفوان عدنان داوودي، دار القلم– بيروت.
- موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، الدكتور رفيق عجم، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت– لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٩.